تحطيم مرآة الذات*

تأليف: موريس غودليي

ترجمة: د.منصور مرقومة**

تقديم: منذ حوالي عقدين من الزمن [1]، ركزت الأنثروبولوجيا نظرتها حول ذاتها، لدرجة أن أنثروبولوجيا الأنثروبولوجيا أصبحت تحت-تخصص، تحت-ميدان في هذا التخصص. هذا المسعى النقدي طُوِّر أساسا في الولايات المتحدة، ولكن نظرة علماء الأنثروبولوجيا لميادين بحوثهم، والانتقادات والانتقادات الذاتية التي ارتبطت بها، ليست بالجديدة إلا من خلال تطوراتها. وأن أي أنثروبولوجي وإن يَّكن بعض الشيء، أو إلى حد كبير نرجسي، يجب أن يعلم أن عمله يتطلب عدم تمركز (décentrement) بالنسبة لذاته هو، وإلا اعتبر بأنه ليس أنثروبولوجيا، وأنه صحفي بشكل أفضل.

إن تموضعه على بُعدٍ من "أناه" ومن "ذاته" هو أحد الشروط المسبقة للعمل الأنثروبولوجي في حد ذاته. إن هذا الابتعاد يجب أن يُجدَد كل يوم، وأن عمل الأنثروبولوجي ذاته، يجب أن يتصف بالدوام، وكل أنثروبولوجي ذو قيمة يستلزم دوما أن يأخذ مسافة بالنسبة لذاته شخصيا، وبالنسبة لإنتاجاته، خاصة إذا رغب في إعطائها بعض الشرعية كعمل علمي وليس كإنتاج جمالي أو غيره. إن ما يحصل حاليا في أمريكا الشمالية معقد نوعا ما، وأن الحقبة الاستعمارية قد أفلت منذ حوالي أربعين سنة. أثناء هذه الفترة، فإن علماء الأنثروبولوجيا الفرنسيين والإنجليز الخ. كانت لديهم، في بعض الأحيان-ولكن ليس بشكل آلي- تلك الوقفة على مسافة نقدية بالنسبة لحضارتهم وثقافتهم، خاصة وأنهم عرفوا كيف ينتمون إلى قوى استعمارية، إلى قوى مسيطرة، حيث حدث قبل

---

*Maurice Godelier, « Briser le miroir du soi », in De l'ethnographie à l'anthropologie réflexive, nouveaux terrains, nouvelles pratiques, nouveaux enjeux, SD de Christian GHASARIAN, ARMAND COLIN, Paris. 2002. Pp 193-212.

** أستاذ محاضر "أ"، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة مستغانم-الجزائر.

[1] نشر هذا المقال سنة 2002. (المترجم).

وبعد الحرب العالمية الثانية، اتخاذ مواقف سياسية ونقدية من طرف الأنثروبولوجيين الغربيين حول طبيعة العلاقات بين مجتمعاتهم والمجتمعات التي ظهروا فيها من أجل معرفتها.

لقد مر الوقت بشيء من المفارقة، وتزامنا إلى حدٍ ما مع سقوط جدار برلين، وتهاوي النظام الشيوعي في أوروبا. حيث أن جُل الدول المستعمَرة من طرف الغرب حصلت على استقلالها (حتى وإن لم يكن هذا الأخير سوى سياسيا، وغالبا شكليا)، فعدد من علماء الأنثروبولوجيا الأمريكان، حاولوا مهاجمة ليس أعمال الأنثروبولوجيين فحسب، بل أيضا مهنة الأنثروبولوجي ذاتها. إن كلمة الأمر في ذلك كانت وبشكل جذري، تفكيك جميع الخطابات الإثنوغرافية، وبذلك إظهار ما هو مفترض أن يكون نزعة تمركزية ساعدت في تركيبها.

يجب تسجيل أن الدفع النظري الذي ألهمهم، لم يكن نابعا مباشرة من الأنثروبولوجيا في حد ذاتها، رغم كونها ملتصقة بضرورة اليقظة النقدية الكامنة في وظيفة الأنثروبولوجي. إن هذا الدفع تغذى بآفاق مستقبلية مفتوحة قبل كل شيء من طرف فلاسفة أو باحثين فرنسيين وليس من طرف أنثروبولوجيين. أفكار مؤلفين بآفاق مستقبلية: دريدا، فوكو، ليوتار، ثم دولوز...الخ، كانت مختلفة أيضا الواحدة عن الأخرى، والتي تم اقتباسها بشكل عشوائي.

إن تفكيك ممارسات وأعمال الأنثروبولوجيين أصبحت عملا أولوياً. ونتساءل عن شروط جمع المعطيات حول هوية المخبرين، وحول طريقة الكتابة من أجل تصويب المعلومات المستقاة من ملاحظة الآخرين، وتقارير وجود وعمل الأثنولوجي مع الذين أتى للعيش والعمل معهم. إن القصد هو نفسه وبقِدمه من خلال مصادره، هو ملاحظة تمركز النزعة العرقية الغربية، وكشف النقاب عن الأحكام الموضوعية، وإظهار نتائج الأحكام المسبقة...الخ. وجدنا أنفسنا إذاً، على مفترق طرق، لأن تفكيك خطاب حول الآخرين لأجل بناء آخر حذر، أكثر تباينا، أكثر قساوة، شيء جميل، ولكن

تفكيك أعمال الأنثروبولوجيين بحيث أنه في نهاية العملية، فإن الأنثروبولوجيا في حد ذاتها وكطريقة علمية، سوف «تضمحل»[2]. بطريقة أخرى، فإن الأعمال، المنتجات (كتب، أفلام، مقالات...الخ) سوف تنسلخ من كل صفة علمية حتى لا تظهر إلا كمجرد شكل سفسطائي للخطاب الإيديولوجي للغربيين حول الآخرين أنفسهم، وهذا شيء آخر.

تلاؤم مع مجتمع البحث: يجب أن أقول بأن الصفة الحربية للبارويا تعجبني، فقد كانت مقرونة بالفعل بكل أنواع الهيئات الدالة على سيطرة الرجال على النساء. استطعت تحليل السلوك، والتمثلات، والرموز التي بواسطتها يضفي الرجال شرعية على مزاعمهم لحكم مجتمعهم وتمثيله لوحدهم. لست مقتنعا بطريقة تفكيرهم وتصرفهم، ولكنني كنت في الميدان مدفوعا بكيفية تصرفهم وتفكيرهم أمعن التفكير في مجتمعي، وشرعت في النظر بشكل واضح في كل ما يؤسس لسيطرة الرجال على النساء في مجتمعنا الغربي، وفي اللامساواة بين الجنسين. كنت قد انطلقت من أفكار الشباب التي كانت أفكارا لتلك الفترة أيضا، خمنت في أنه يجب أن نقوم بثورة في الغرب، وفي وضع نظام اقتصادي واجتماعي جديد بمحو الطبقات الاجتماعية، وبشكل تلقائي تترسخ المساواة بين الرجال والنساء. لكن في مجتمع البارويا لا توجد طبقات بل توجد سيطرة كبيرة للرجال على النساء. استنتجت بمنطقية بأن اللامساواة بين الجنسين ظاهرة قديمة جداً وعامة جداً بالنسبة لوجود الطبقات أو الطوائف، ومنذ ذلك تغيرتُ بشكل شديد وعميق ولم أرجع بعدها أبداً عن تلك البداهة.

بعودتي لاحقاً إلى فرنسا، تمكنت من الاستماع إلى أصحاب النزعة النسوية، وربما بشكل عام تمكنت من الاستماع إلى أصوات النساء اللواتي لم نكن نستمع إليهن في الأنثروبولوجيا في تلك الفترة، وليس فقط في الأنثروبولوجيا. إن الميدان يحولك، يعني ذلك أن الآخرين يغيرونك، إذا

[2] يقصد المؤلف بعملية التفكيك، تلك العملية التحليلية التي تتم حول الظاهرة الاجتماعية، وبطريقة النقد السلبي لأجزائها ورموزها في عملية البحث العلمي ومنهجه، حتى تبدو وكأنها غير متناسقة، وهذا قصد الانتقاص من قيمة المنهج العلمي الأنثروبولوجي. (المترجم).

عرفنا كيف نُصغي إليهم، وإذا فكرنا بطريقة تتنصل من نزعة تمركز الذات حول ما نراه وحول ما نسمعه. لا أُخفي في الوقت نفسه بأن خطابات الباروبا محاربين وذكوريين قد خلبتني، لأن هؤلاء الناس لم يقوموا بالحرب عن بعد، فكبار المحاربين قتلوا أعداءهم بتلاحم الأجساد، بضربة فأس، بشيء يحاكي ما جاء في الإلياذة أو "الأوديسيا". في الوقت نفسه فإن المحاربين العاديين يرمون بالنِّبال ثم يركضون تجنباً للإصابة. زد على ذلك، بأن الباروبا أوضحوا لي أنه وبقناعة، رغم كون كل الرجال متفوقون على النساء، فإن الغالبية منهم ليسوا سوى "ووباي" (Wopaï) "بُلهاء"، "لطفاء"[3].

أعرف أغاني الحرب التي تُغنى عندما يتم قتل محارب كبير، أو إمرأة، أوطفل، كنت أستمع بكل سذاجة لازمة، وبكثير من المتعة إلى مآثر كبار محاربي الباروبا التي لا تحصى والتي ينتمي إليها "باكيتشاتشي" (Bakitchatché)، بطل شاب قضى بمفرده على مئات من عناصر العدو، والذي قطع الأشجار بروح عالية ليسهل مرور فرقته من فوق جرفٍ عالٍ، ويهجم على قرية للعدو من جانب كان يُظَن أنه منيع. إن النساء أرامل كبار المحاربين لم تكن الأخيرات لتعظيم شرف مقتل أزواجهن في المعركة. كل هذا جعلني وبكل تأكيد، أهيم في استلهام أحلام شخصية.

تبرير التواجد في الميدان: ربما يكون تبرير التواجد أكثر سهولة مما نعتقد. في مجتمع الباروبا، هناك من لا يحبذ تواجد الرجال البيض في مجتمعهم، وهناك الذين يحبذون تواجد واحدٍ بينهم. إنه مفاوض ممكن مع سلطة الرجل الأبيض، إنه مصدر للهدايا، يعني ذلك أشياء يجب أن نشتريها مقابل عملة، أدوات، أغطية، تبغ...الخ. ثم، وفي بعض الأحيان، إنه مصدر للفخر حيث أن للقبيلة المجاورة رجل أبيض يعيش فيها، فلما لا بالنسبة للباروبا؟. عشت في بداية الأمر، في كوخ على طريق يربط قريتين في الجبل، كان يُستخدم كنقطة للتوقف والاستراحة بالنسبة للناس الذين يمرون من هنا،

[3] يستعمل الكاتب تعبير "بطاطا حلوة" (patates douces) للتعبير عن سذاجة هؤلاء الرجال ورقة طبعهم. (المترجم).

خاصة بالنسبة للبيض المبشرين والعساكر والموظفين الذين يزورون المنطقة. كنت وحدي ولست وحدي، من الصباح إلى المساء، كان هناك عشرة أو خمسة عشر طفلا، الذكور منهم خاصة، يرافقونني، يفتشون حقائبي، كنت بالنسبة لهم أكبر ظاهرة جاذبة، تلفاز، وشيئاً فشيئاً زارني البالغون، ومنهم من اقترح علي الانتقال للعيش في قريتهم، وبأنهم سوف يبنون لي بيتاً ولعائلتي التي سوف ترافقني لاحقاً، كما سألوني عن سبب مجيئي عندهم لأنه على ما يبدو لست لا مبشراً ولا عسكرياً.

في الميدان نواجه مشاكل أخرى من قبيل الأدبياتي الأخلاقي، فلا يمكن إخبار النساء بما يقوله لك الرجال والعكس صحيح، كما يجب تجنب الدخول في علاقات جد خاصة، أو جنسية مع امرأة إن كنت أنثروبولوجي، ولا مع رجل أن كنتِ أنثروبولوجية. وبحكم أنني بقيت لسنوات عديدة بمفردي، وبحكم علم الباروبا بأنني أب لفتاة، اقترحوا مرات عديدة بأن يجدوا لي زوجة مقابل أن أعطيهم ابنتي للزواج، فرفضت اقتراحاتهم. مشكلة أخرى وهي تجنب قدر المستطاع التدخل في حياة الغير، أو تبني وضعية سلطوية. كنت شاهداً على حالات عنف حيث يقوم الرجل بضرب زوجته، أو زوجة أولى تنقض ضرباً بالساطور على زوجة ثانية اتخذها زوجها. هذا كله تحت أنظار خمسون شاهداً، نصف عدد سكان القرية. لم أتدخل أبداً، كنت أراقب ثم أسأل الشهود. كلفني ذلك مرة أو مرتين توبيخاً عنيفاً من طرف زوجتي التي بقيت معي في الميدان مدة سنة كاملة، كانت تعتبر أن مهنة الأنثروبولوجي « مهنة نوعا ما منفرة»، خاصة عندما تعرضت في يوم ما امرأة من الباروبا، وهي إحدى صديقاتها لإصابة بالساطور من طرف أخرى منافسة أمام مرأى من الزوج، وبروح الصداقة والتعاون، أجبرت زوجتي بعضاً من الشهود على وضع حمالة لنقل المصابة إلى المركز. أنا لم أفعل شيئاً بحكم تقديري أنه يوجد عدد لا بأس به من البيض الذين يتدخلون في حياة الباروبا دون أن يقوم أحد بدعوتهم لفعل ذلك: مبشرين يقولون لهم بأن عقيدتهم غير صحيحة، وبأن أرواحهم سوداء مثل

جلودهم، وعساكر يمنعونهم من القيام بالحرب واسترجاع أراضيهم...الخ.
وأشياء أخرى أمنع نفسي من الخوض فيها. لا يمكن أيضاً إخفاء بأن مهنة الأنثروبولوجي هي نوعاً ما مهنة (الملاحِظ)، تُوجِب الملاحظة دون التدخل، وبأننا لسنا هنا من أجل وضع الآخرين على منصة المسرح ليقوموا بهذا الفعل أو ذاك، للآخرين أن يفعلوا ما بدا لهم أن يفعلوه. لكن بالفعل أقوم وفي كل صباح نزولا عند رغبتهم، بمداواة النساء والأطفال المرضى حسب الاستطاعة، أو الرجال الذين أصيبوا في الأدغال.

إذا أردنا أن نتحدث الآن عن ممارسات المعرفة التي طُوِّرت في الميدان، يجب أن نقول بأنني قمت بتحقيقات منظمة يكمل بعضها بعضاً، قمت بقياس أبعاد حقول القرية كلها، ما يقارب سبع مائة قطعة في الغابة أو "السافانا"، قمت بذلك لثلاث مرات طيلة عشر سنوات، كنت أقوم بأخذ عينات التربة وأبعث بها إلى أستراليا لمعرفة درجة خصوبتها، وفي الوقت نفسه، كنت أختار العينات بتوجيه من الباروبا الذين يدلونني على أن هذه التربة جيدة لزراعة الذرى، وهذه جيدة لزراعة البطاطا الحلوة...الخ.
وأكَّدت التحليلات خبرتهم في ذلك.

كما قمت أيضا بإحصاء عدد سكان القرى كلها، ووضع الخرائط لها ولمنازلها، وهذا مرتين على مدى خمس سنوات كفاصل بينهما، وأخيراً فقد أمضيت أشهراً في الذهاب من قرية إلى أخرى لوضع شجرات النسب لأربعة أو خمسة أجيال لكل الباروبا.عندما تقوم بإنجاز تحقيقات كهاته، فإنها بالضرورة تتقاطع مع بعضها، لستَ بالضرورة أمام مرآة "أناك"...يجب معرفة كيفية عدم التمركز بالنسبة لثقافتك وبالنسبة "لأناك"، كما يجب العمل بمناهج تجعل المعطيات يتقاطع بعضها مع بعض، ويجب تقاطع عدد كبير من المعطيات بنوع من اليقظة المتناهية لكل ما يقوله الناس حول أنفسهم ولعلاقتهم مع الآخرين.

قمت أيضاً بإنجاز تحقيق حول الأحلام، حيث اعتمدت في الغالب على مقال "لوسيان سباغ" (Lucien Sebag)، أنثروبولوجي انتحر في فندق

مقابل السوربون نتيجةً لإحباط عاطفي...كان مقالاً حول مجموعة من هنود الأمازون، وخلال شهر كامل، قمت بالعمل نفسه: ذهبت في كل صباح لجمع أحلام الناس، فقد دونت كناشاً كاملاً، وأخيراً أصبح لدي مجموعة كناشات تحتوي أحداثاً لم أقم بوصفها أو تحليلها، وهناك أحداثاً لا يمكنني الإفصاح عنها نظراً لالتزامي أمام الباروبا بعدم البوح بها، وهي تخص الشذوذ الجنسي الشعائري للباروبا، وقد قلت ما فيه الكفاية لفهم حقيقة هذه الأحداث، وهذه المؤسسة المرتبطة بالهيمنة الذكورية، وليس بالضرورة أن نعرف كل ما قيل لي، فالسر من التوابل الضرورية للسلطة.

ليس للأنثروبولوجي في الغرب من الحظ ما يمكنه من حضور مداولات اللجنة المركزية لحزب من الأحزاب...أو المشاركة في اجتماعٍ لكبار أصحاب المراتب في كنيسة، إن مجتمعاتنا الغربية غير نفوذة في هذا خلافا لما هو عليه الحال بالنسبة للمجتمعات الشرقية أو غيرها، إننا نعرف عن مجتمعات "ميلانيزيا" أكثر مما نعرفه عن تنظيمات السلطة في الغرب، ولست أتحدث هنا بطبيعة الحال عن السر الذي يحيط بالسلطة وثراء العصابات. فضلا عن ذلك، وعندما نقارن مجتمعات جد متباينة عن مجتمعنا مع مجتمع الباروبا، نستنتج بأن شباب الباروبا يتلقون تربية كاملة، إنهم يعلمونهم كيف يصبحون صيادين، ومحاربين، وكيف يَخْلُفون أسلافهم...الخ. في مجتمعنا، وفي المدرسة فإننا نُعلِّم أكثر مما نُرَبي. في هذا المعنى، فوزارة التربية الوطنية ليست أهلا لهذه التسمية، وأن العائلة أو المدرسة لا تربي الشباب على الإطلاق، حيث يجابه الفرد الحياة في ظروف غامضة وجد صعبة مما يفعله الشباب في الباروبا قبل أن يتدخل الغرب في تاريخ مجتمعه.

الأنثروبولوجيا اليوم :إن تحطيم برجي التجارة العالمية (توين تاورز) في الحادي عشر من سبتمبر 2001 من المفترض أن يبين أهمية العلوم الاجتماعية في فهم المجتمعات، أقول العلوم الاجتماعية وليس فقط الأنثروبولوجيا. إن تاريخ الآخرين، تاريخنا، تعتبر وسائل أساسية للفهم، لأن

جزءاً مهماً من مشاكل اليوم ليست وليدة اليوم... يجب أخذ مسافة فاصلة، لكن في الوقت نفسه، فإن التاريخ ليس العلم الوحيد الذي يهتم بالتاريخ، يجب فهم الحضارات، وتعلم اللغات، ومساءلة النصوص، ولكن أيضا معاينة القوى الحالية التي تضغط على المجتمعات، وفي المقام الأول قوة التوسع العالمي للنظام الاقتصادي الغربي، ونسق السوق، والرأسمالية. لكن هناك قوى سياسية أخرى تستند إلى قوى مادية، عسكرية...الخ. هنا أيضا، يلعب الغرب دوراً مهيمناً في تطوير جميع المجتمعات التي تدخل ضمن دائرة نفوذه وثروته. أن تكون أنثروبولوجي بكل المقاييس، فهذا يعني عدم الاكتفاء بالأنثروبولوجيا، وأن تكون أنثروبولوجي أو مؤرخ، يعني العمل الدؤوب من أجل عدم التمركز بالنسبة لثقافته الأصلية.

إنه من البديهي أن الأنثروبولوجيا ولدت في الغرب نتيجة لتطورين اثنين: الأول معروف جداً، وهو الغزو الاستعماري، والتجارة العالمية...الخ، والثاني ربما منسياً نوعاً ما وهو ظهور الدولة-الأمة في أوروبا، ثم فرض على كثير من المجتمعات المحلية، أو الجماعات الإثنية قوانين أصدرتها هذه الدول [الدولة-الأمة] تتعارض مع عادات هذه المجتمعات، حيث ظهرت بعض المصنفات حول هذه العادات في الفترة الممتدة من القرن السابع عشر إلى القرن الثامن عشر في أوروبا. لكن في أفريقيا وآسيا وأقيانوسيا وأمريكا، ومن أجل غزو وتسيير هذه الشعوب ذات العادات المتعددة وغير المعروفة لدى الأوروبيين، ومن أجل تنصيرها واستئصال معتقداتها « الوثنية » المستمدة من الشيطان، في كل مكان، فإن العساكر، والمبشرين، والموظفين قاموا بجمع المعلومات، وتعلم اللغات، باختصار مارسوا الإثنوغرافيا العشوائية، والكثير من هذه المعلومات كانت ذات قيمة، ولكن لا يمكن خلط الأنثروبولوجيا مع كل ذلك، ولا يمكن اختزالها في هذه الإثنوغرافيا العشوائية المرتبطة بتطور إمبراطورية الغرب. فالأنثروبولوجيا كتخصص علمي ولدت مع "مورغان" وآخرين ممن مارسوا لفترة، ولدرجة

معينة، عدم تمركز منهجي بالنسبة لمسلمات ثقافتهم وتربيتهم الغربية. عندما اكتشف مورغان بأن هنود "الإيروكوا" كانوا يمتلكون نسقاً قرابياً جد مختلف عن نسق الغرب، ويمتلكون منطقاً خاصاً بهم، هذا النسق أسماه "أموسي" (matrilinéaire)، يعني ذلك أنه نسق لا ينتمي فيه الأبناء إلى عشيرة الأب ولكنهم ينتمون إلى عشيرة الأم، وحيث لا تذهب المرأة للعيش في بيت زوجها بل يأتي الزوج للسكن في بيت زوجته...الخ. رضي مورغان بهذا الفعل، وأطلق تحقيقا واسعا لدى اثنتي وثمانين قبيلة في الولايات المتحدة وكندا تتكلم لغات مختلفة، وعليه فقد اكتشف من جديد وعاين أن هذه الأنساق كلها عبارة عن أصناف تخضع لمبادئ مختلفة، هذا ما أوصله إلى بدأ تحقيق عالمي حول خمسمائة مبشر أو موظف منتشرين عبر مستعمرات الغرب. هنا كانت دهشته عندما قارن مصطلحات القرابة لهذه المئات من المجتمعات التي لا تملك رابطا بينها، لقد عاين بأنها تظهر كمتغيرات بستة أو بسبعة أصناف من المصطلحات. لم يقم أحد عبر التاريخ بمثل ما قام به هذا العالم ولذلك يعتبر مورغان بطلاً.

حاول مورغان لاحقاً إيجاد العلاقة التي تربط هذه الأصناف من المصطلحات وكذا المراحل التي مرت بحسبه على البشرية من حالة بدائية متوحشة تكاد تكون حيوانية، إلى حضارة أفضلها وأجملها حسب رأيه، أمريكا الجمهورية. مذ ذاك، جاء البولينيزيون لتمثيل مرحلة التوحش، والإيروكوا اقتربوا من الجرمان لتمثيل مرحلة البربرية. إن الإيديولوجيا الغربية في مخيلة مورغان، غزت الأرض الضائعة خلال مقاربتها الأولى التي ترتبط باللاتمركز. أصبحت الأنثروبولوجيا فيما بعد، وشيئاً فشيئاً، بتطورها اعتماداً على قواعد جديدة لعدم التمركز، منهجاً مرتبطاً ودون انفكاك بالغرب مسقط رأسها، لأنه يجب على أي أنثروبولوجي مهما يكن صينياً أو فرنسياً أو مصرياً أن لا يتمركز بالنسبة لثقافته الأصلية وتحطيم مرآة الذات في نفسه. هذا العمل نقوم به عند الآخرين، ومع الآخرين ومن أجل الجميع. هذا ما دعاني إلى الكتابة منذ سنوات خلت: "بأن المد الذي

تشهده الديانات الكبرى على غرار الإسلام، يستدعي تحليلات الأنثروبولوجيا، وعلم الاجتماع، والتاريخ. الكل يعلم بأن العنف سوف يظهر يوما ما على حقيقته حتى يقرر البعض التصرف من أجل احتوائه أو القضاء عليه"[4].

خرج علينا العنف حالياً، إنه يحيلنا على جذوره. مرة أخرى، هناك حقائق خفية على غرار الاختلاف الحاصل بين الديانات، أو تلك الحقائق التي اعتبرت غير ذات معنى كالتقسيمات الإثنية، أو تواجد القبائل لدى مجتمع "البشتون" (Pachtounes)، تصبح حقائقا يجب تناولها وفهمها بنوع من الجدية. بالنسبة لعدد من الأنثروبولوجيين فإن مفاهيم ك"القبلية" و"الإثنية" (العرق) اعتبرت مصطلحات من اختراع الغرب، ومن إنتاج مخيلته وعنصريته. الكثير من الناس رمى بها جانبا حتى يشعر بنوع من راحة الضمير، بينما تكفل التاريخ بنفي ذلك. إن التقسيمات الإثنية (العرقية) أو القبلية في جانب منها ليست فقط خيالية ومتلاعب بها، ولكن من أجل التلاعب بها بنجاح يجب أن يكون هناك شيء حقيقي للتلاعب به، وأن الكلمات لا تحيل على مفاهيم جوفاء تماماً أو خاطئة تماماً. من جديد ومنذ سقوط الشيوعية وسقوط برجي التجارة العالمية (توين تاورز) دُعيَ الإثنولوجي أو اسْتُدعيَ للعمل من طرف التاريخ ولكن ليس بمفرده. زيادة على ذلك، نعرف تماما بأنه ليس للعلماء وحدهم القدرة على إزاحة علاقات القوة من أجل تغيير الحقيقة إذا وجب ذلك. يجب أن تكون ليس فقط عالِماً وإنما أيضا شيء آخر، هو أن تكون مواطناً وأن ترغب بمسؤوليةٍ في الخير المشترك.

[4] *« L'anthropologie est-elle indissolublement liée à l'occident, sa terre natale ? », RISS, 143/mars 1995*.